

الدلالات الرمزية للزخارف في الفنون الإسلامية

د. إيناس سالم الناطوح

مدرسة الإعلام والفنون، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا

enasnatuh@gmail.com

الملخص

للفنون الزخرفية الإسلامية نتاجاً إبداعياً للفكر الجمالي المنبثق عن العقيدة الروحية الإسلامية تمت ترجمتها إلى منظومات زخرفية ذات أبعاد جمالية خاصة، فضلاً عن دلالاتها الحضارية والمعرفية التي جعلتها ذات خصوصية وتفرد وأكدت سمو مكانتها بين الفنون. فمن خلال الدلالات الرمزية للزخرفة في الفنون الإسلامية نسعى إلى بيان العلاقات الجمالية والفنية للمفاهيم الجمالية للزخارف الإسلامية، ومحاولة إبراز جمالياتها واستنباط قيمها الروحية والتجريدية، إلى جانب الكشف عن النواحي الإبداعية والجمالية فيها واستخلاص الدلالات الفكرية والرمزية لفن الزخرفة الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الدلالات، الزخرفة الهندسية، الفنون الإسلامية.

Abstract:

Islamic decorative arts are a creative product of aesthetic thought emanating from the Islamic spiritual faith. They have been translated into decorative systems with special aesthetic dimensions, in addition to their cultural and cognitive significance, which made them special and unique and confirmed their high status among the arts. Through the symbolic connotations of decoration in Islamic arts, we seek to clarify the aesthetic and artistic relationships of the aesthetic concepts of Islamic decoration, and attempt to highlight their aesthetics and derive their spiritual and abstract values, in addition to revealing their creative and aesthetic aspects and extracting the intellectual and symbolic connotations of the Islamic art of decoration.

Keywords: semantics, geometric decoration, Islamic arts

المقدمة

تتميز الفنون عبر التاريخ بسمات رمزية تميزها عن غيرها من الفنون الأخرى، كما يرتبط الرمز بدلالاته المختلفة بكل أنواع الفنون على مر الزمان وباختلاف المكان ويعتبر تطور استخدام الزخارف الفنية بأنواعها من الأهمية في جعلها مساهمة في

التعريف بجمالياتها ومدلولاتها وقيمها الخاصة والمميزة في تاريخ الفنون الإسلامية ومدى تأثيرها على رؤية وأسلوب الفنان.

فقد سعى الفن الإسلامي بكل زخارفه وأشكاله وأنواعه إلى بلوغ هدفه وهو الوصول إلى اللانهائي، عندما يبدأ الخط بالحركة فان حركته مستمرة لا تتوقف؛ ولهذا يأخذ الخط والشكل نمطاً ممثلاً بالقوس الذي يعد فلسفة الفن الإسلامي، وان هذا الامتداد لا حدود له، يدفع إلى التفكير بالخالق لا بالمخلوق، وبهذا المعنى نجد إن الفن الإسلامي تشرب من العقيدة الإسلامية وعبر عن أفاقها الواسع وعن عالم آخر وامتداد كوني متنوع حيث تتمتع الفنون الإسلامية بعناصر زخرفية في شتى مجالاتها، والفنان المسلم يكره الفراغ والمساحة الخالية لذا فقد ملأ كل سطح بأنواع من الزخرفة⁽¹⁾.

وقد برع الفنان المسلم في تحميل عناصر الزخرفة بأنواعها النباتية والهندسية والكتابية بالمضامين المرتبطة بعقيدته وفلسفته، وبين حركة التجريد الهندسي في الفن التشكيلي الذي بلغ ذروته في العصر الإسلامي ليصل إلى تجريد المعاني الفلسفية العميقة في أشكال هندسية مجردة، لتتخطى العصور القديمة إلى درجة أعمق من تجريد المعنى وإكسابه الشكل الهندسي البسيط. ومن هنا جاءت الفنون الزخرفية لملا الفراغ وجاءت التنوعات الزخرفية والتجريد لحمل مضامين ودلالات رمزية ولع الفنان المسلم من خلالها بالهندسة وعلوم الرياضيات، فلم يكن الفنان المسلم يقدم منه منفصلاً عن عقيدته، بل ارتبط منه بعمارة وزخرفة المساجد وقصور الخلفاء والأمراء وزخارف المصاحف وغيرها، وجاء منه دينياً لخدمة العقيدة الراسخة في تكوينه الوجداني.

فقد تعددت الاتجاهات الفنية الزخرفية وأصبحت المجموعات الزخرفية حقولاً انطلق فيها خيال الفنان المسلم إلى اللانهائية والتكرار والتجدد والتناوب والتشابك، فابتكروا الأطباق النجمية وأشكال التوريق المتنوعة، وان تلك الزخارف تعكس خصوصية عربية

1- أحمد المفتي، الزخرفة التاريخية، دار دمشق، 2001، ط1، ص240.

إسلامية روحية وفلسفة متميزة بتكوينات دقيقة معقدة لا نهائية بإيقاع فني وحركي جميل ورشيق تشكل الوحدة الزخرفية نواته الرئيسية².

مشكلة البحث

تمتع الفن الإسلامي بخصوصية مميزة ومؤثرات خاصة وسمات عامة يظهر فيها دقة وإبداع الزخارف الهندسية، والتي تصل بك للبحث في أبعاده ودلالاته الفكرية والجمالية التي استوحاه الفنان المسلم، وارتباط رموزها ووحداتها التشكيلية المنبثقة عن الفكر والعقيدة الإسلامية، التي تمت ترجمتها إلى منظومات زخرفية ذات أبعاد جمالية خاصة، وقيم جمالية للزخرفة الإسلامية والأبعاد بنوعها الهندسية والنباتية، ومن بين الرمزية ودلالاتها الجمالية وإيقاع الزخرفة الهندسية الإسلامية طرح التساؤل التالي:

_ ما مدى أسهام فكر ورمزية الفن الإسلامي في النواحي الإبداعية والجمالية للزخارف الهندسية والنباتية وانعكاسها على مكونات عناصره الزخرفية؟

فرضية البحث

_ تفصح الزخارف عن فكر إبداعي سواء على مستوى جمالية التصاميم الزخرفية المتنوعة والقيم الحسية الذهنية في الفنون الإسلامية وذلك ضمن دلالات ومعاني رموزها الفنية.

أهداف البحث

يسعى البحث إلى بيان العلاقات الجمالية والفنية للمفاهيم الجمالية للزخارف العربية الإسلامية من خلال:

_ إبراز جماليات الزخرفة العربية الإسلامية من خلال استنباط القيم الروحية والتجريدية بها.

_ الكشف عن النواحي الإبداعية والجمالية للزخرفة العربية الإسلامية من خلال استخلاص الدلالات الفكرية والرمزية للزخرفة الهندسية.

أهمية البحث

2- بشر فارس، سر الزخرفة الإسلامية، دار ناشر، القاهرة، 1952، ص 20.

__ المساهمة في التعريف بجماليات الزخارف الهندسية ومدلولاتها وقيمها الخاصة والمميزة في تاريخ الفنون الإسلامية .

منهج البحث

يتبع البحث المنهج الوصفي وذلك بدراسة جماليات الزخرفة العربية الإسلامية من خلال تعبيرات القيم الروحية والتجريدية والرمزية للزخرفة الهندسية والنباتية.

الإبداعات الجمالية للزخارف الإسلامية

تحمل الأساليب والاتجاهات فن أبداعى محصور بالشكلين الهندسي والنباتي، ومع إن الزخرفة تزيد السطوح جمالا ورونقا، فهو ليس مجرد زخرفة تزيينية، لأنه يعبر عن خاصية تشكيلية تعتمد الجمالية الإسلامية. وتبقى الزخرفة نشاطا تشكيلياً يعنى التزيين والتتميق حصراً³. والسماوات الخاصة للزخرفة النباتية والهندسية دلالات جمالية متميزة تؤكد المعنى الأساسي للفن الإبداعى، تجعل الزخارف الفن الإسلامى متميزة عن غيرها من الأشكال الزخرفية الأخرى.

وعلى الرغم مما يبدو في الزخارف الهندسية الإسلامية من تعقيد، فإنها في حقيقتها بسيطة معتمدة على أصول وقواعد تقسم المحيط إلى أجزاء متساوية، ثم توصل النقاط بعضها للحصول على أشكال هندسية مختلفة، ما يدل على عناية المسلمين بعلم الهندسة من الناحية النظرية والتطبيقية⁴. فقد سعى الفنانون المسلمون إلى توظيف هذه الإبداعات الزخرفية في مختلف نتاج حضارتهم من الكتب والأنسجة والأواني الخزفية إلى الشواهد المعمارية حيث تزين جدران الجوامع والقصور والأبنية في كل أرجاء العالم الإسلامي بالأعمال الزخرفية المنفذة بمختلف الأساليب والأشكال والمواد.

فكان لفن العمارة الإسلامية خصوصية تمثلت في عدة طرز معمارية تجمعها وحدة الملامح والأسلوب، فالمعالجات المعمارية التي يتم استخدامها نراها تنعكس من المفاهيم والأفكار التي تشتق منها، وتستلهم من العقيدة الإسلامية والفلسفة المرفقة لها

3- عفيف بهنسي، الفن الإسلامي، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1986، ص 71.

4- عبد الله عطية، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة أفاق للنشر والتوزيع، الكويت، 2018، ص 214.

والتي اتخذها المعماريون كخطوط عريضة لتوجيه المنتج المعماري وتحديد حركته ومنحه طابع موحد.

وتظل الزخرفة ضمن المعالجات المعمارية فكريا وقد تعاملت معها كل أنماط العمارة الإسلامية، وخاصة بيوت العبادة من مساجد وجوامع ومدارس دينية، ومع هذا فقد انتشرت الزخرفة في المساجد والجوامع كمعالجة شائعة لإظهار الاهتمام بالمكان والفضاء والمبنى، وبغض النظر عن كون هذه الزخارف (نباتية أو هندسية) وهما النوعان الرئيسيان للزخرفة في معالجة ناجحة لتقسيم السطوح والفضاء وتجزئتها إلى قطع فيما بينهما، وعادة ما كانت عقود هذه الزخارف تركز على صيغ فردية أو مزدوجة تظهر توازن طبيعي للسطح⁵.

والمميز في هذه الزخارف ما اتخذ منها شكل المثلث والمربع والمنشور وذلك بسبب ارتباط هذا النوع بالعمارة الإسلامية، وإمعانا من الفنان في إكساب هذه الزخارف الشكل المعماري، يقوم فيها برسم العقود بهيئة خطوط مدرجة قصد منها إن تظهر وكأنها قطاع راسي للمقرنصات التي تزخرف محاريب المساجد. وقد أكد حسن الباشا إن كثيرا من الزخارف المزينة للمساجد وباحات الصلاة ذات علاقة بالعقيدة وطقوسها فالعمل الزخرفي الذي يمثل الوحدة الرئيسية في الصحن، إنما يرمز بأجزائه المختلفة إلى محراب المسجد الذي يعين اتجاه القبلة التي يجب إن يولي المسلمين وجوههم شطرها أثناء الصلاة، وهي نحو المسجد الحرام بمكة المكرمة⁶.

ونخلص من ذلك أن وحدات الزخارف التي تزين المساجد ما هي إلا رمزا للفكر والعقيدة الإسلامية الموجودة في عمارة المساجد، وإن تعاليم العقيدة الدينية الإسلامية انعكست بشكل واضح على معالجة الموضوعات الفنية لمكوناتها الزخرفية، وربما يرجع ذلك إلى العقيدة الكامنة عند الفنان المسلم التي تلعب دورا بارزا في موضوعه ضمن هذا الكون العظيم، كما وإن اختلاف بيئته جعلت لصياغته الفنية ملامح مميزة وخصائص ومعايير أترث على الفن الإسلامي وأعطته طابعه المميز وشخصيته الفريدة.

5- عبد الله عطية، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، مرجع سابق، 115.

6- المرجع السابق، 116.

ويمكن تلخيص الأساليب المميزة للمكونات التشكيلية في الوحدات الزخرفية كالتالي:

1_ كراهية الفراغ: عبر عنها الغربيون بمصطلح الفراغ من الفراغ⁷، حيث اتجه الفنان فيها إلى تغطية المساحات والسطوح بالزخارف فزعا من الفراغ، ورغبة منه في إذابة مادة الجسم بلفت النظر إلي الزخارف الفنية التي تغطيها؛ لهذا ركزا على كثرة الزخارف واتصالها ببعضها لتغطي كامل المساحة أو جزء منها⁸.

ولعل من ابرز ما نلاحظه في أسطح الأعمال والمنتجات في الفن الإسلامي أنها تزدان بالزخارف المتكررة ذات الأصول النباتية والهندسية والحيوانية أو بالكتابات الخطية بأسلوب زخرفي جذاب.

2_ البعد عن التجسيم: من الملاحظ إن الفنون الإسلامية تبتعد عن التجسيم لأنها لاستهدف البحث عن البعد الثالث، بل تبحث عن عمق وجداني، ونلاحظ ذلك في أنواع الزخارف كالأطباق النجومية التي تقودنا هذه الزخارف إلى زخارف أخرى، ثم تقود إلى زخارف تختلف عن زخرفة سابقها، وقد ذكر (جاستون فاييت) إن الفنان المسلم ينصرف عادة عن النقش والحفر الي التزيين السطحي الخالي من النتوء أو البروز⁹

3_ البعد عن الطبيعة: قد استطاع الفنان المسلم إيجاد صياغة خاصة تناول فيها الطبيعة وفككها إلى عناصر أولية ليعيد تركيبها من جديد بروية لا نظير لها في الطبيعة، حيث كان يسعى دائما إلى تحويل ما يراه في الطبيعة بتصورات مخيلته ونزعته في تجريد المشاهد الحية في الطبيعة حتى لا يبقى منها إلا خطوطها الهندسية.

حيث طغت على فنونه الاصطلاحات والأعمال المبتكرة، بعيدة عن الدقة في تمثيل الطبيعة، والتخلص من تقاليد الفن الإغريقي الذي اشتهر بتمثيل الأشياء كما هي بدون

7- زكي محمد حسن، الأعمال الكاملة في الفنون الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 44 .

8- أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه، دار المعارف، لبنان، ط2، ب ت، 96.

9- أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه، مرجع سابق، ص 95.

غلو ولا تجميل، وكان نفور المسلمين من تقليد الخالق أكبر مشجع على عدم الرجوع إلى الأساليب الفنية الإغريقية القديمة¹⁰.

كما يمتاز الفن الإسلامي بتنوعه الذي أصاب نواحيه وأشكاله وصناعاته وزخرفته وقد بلغ من الشدة حدا يصعب فيه أن نجد تحفتين متماثلتين في الزخرفة، ومع ذلك يمتاز بوحده، فلو قارنا بين قطعة مزخرفة في الأندلس وقطعة نسيج أخرى في مصر وثالثة لقطعة من المعدن في إيران فسجد وحدة الأسلوب والتأثير والانتماء للفن الإسلامي.

والجدير بالذكر إن فكرة الوحدة في الفن عند العرب المسلمين والسمات المميزة لها لم تتعارض مع تراث وخصوصيات الأمم والشعوب المنضوية تحت لواء الإسلام، بل إن الإسلام ألهمها ومكنها من تطوير نفسها ضمن أهدافه وتعاليمه السامية، والجانب الأخر الذي يميز الفن هو ثراءه بالخصوصية المحلية ضمن الإطار العام، بحيث تتميز التحف عن بعضها حسب الأقاليم الجغرافية وتنوع تراثها الحضاري واختلاف أزمنة صناعتها. فطابع الوحدة هو السمة لجميع الفنون التي ظهرت تحت ظل الإسلام من الهند إلى الأندلس؛ فالفنان المسلم الذي أنتج هذه الفنون قد تشرب ثقافة واحدة وتوسع فيها وكان ولاءه المطلق والمستمر لله تعالى، ولم يكن لشكل الزخارف لديه حدود ولا تتوقف على نوع¹¹.

ومن الجانب الفلسفي ومن خلال منطلق الوحدة والتوحيد والحركة التي شكلت مبادئ أساسية تميز الفن الإسلامي عن الفنون الأوربية، فالوحدة هي وحدة الخالق والتوحيد هو إن الله واحد احد، والحركة مبدء أساسه الوجود، ومنطلق الحركة يرتبط بالمنطلقين الآخرين، إذ يمكن إن يفهم الفن الإسلامي بوصفه مبنيا بصورة جوهرية على مبدء الحركة، وإذا ما أخذنا فيزيائيا حركة الكون وحركة الوجود البشري والطبيعي ومتغيراتها وتكرارها فإنما يشير إلى تلك الرابطة الفاعلة والنشطة والعلاقة الصميمة بين

10- زكي محمد حسن، الأعمال الكاملة في الفنون الإسلامية، ص 45.

11- عفيف بهنسي، الفن الإسلامي، مرجع سابق، ص 76_78.

الخالق والمخلوق، وإذ افترضنا إن الإنسان نقطة في هذا الكون فإن السلسلة البشرية تشكل خطأ يعرف له بداية بدون نهاية¹².

المدلولات الجمالية في الزخارف الإسلامية

تمثل الزخرفة الإسلامية توجهاً فنياً وفكرياً للسمو إلى المعاني الروحية، وتصاميم هندسية ووجدانية ترتقي بالمتذوق إلى التأمل والتأويل وأدراك المعاني العميقة الكاملة وراء الأشكال المجردة، التي تعبر عن عالم جمالي خاص يتجاوز حدود الصور والأشكال المحسوسة، ويكتسب طابعاً روحياً خاصاً من خلال الابتعاد عن محاكاة الواقع، وذلك عن طريق تبسيط الأشكال وتجريدها من خصائصها المادية الظاهرية والارتقاء بها إلى مستوى المثال الجمالي السامي المنزه عن النفعية والمحاكاة وهو المثال الجمالي المطلق¹³.

وتتميز الزخرفة الإسلامية بمبدأ التكرار والامتداد اللانهائي للأشكال التي ترتبط فيما بينهما بعلاقات فنية متوازنة، كما إنها تتحرر من قيود المكانية التي تحدد أبعاد العمل الفني، فالزخارف الإسلامية قابلة للامتداد في جميع الاتجاهات دون أخلاق بقيم وتوازنات العمل الفني المتكامل¹⁴.

وفي كل الأحوال فإن الزخارف الإسلامية تظل تعمل على مستوى واحد وهو مستوى السطح، أي البعدين الأساسيين دون الحاجة إلى الإيهام بالعمق أو البعد الثالث مما يعطي الأشكال والزخارف سمة التسطیح والمواجهة، حيث تنتشر الأشكال للمتلقي الذي يبدأ بدخول عالم جمالية الزخرفة الروحية التأملية، التي تمثل نظاماً متكاملًا من الأشكال والعناصر والعلاقات والألوان المؤلفة وفق أنظمة وبناء مميز. (القيم في مرقد النبي))

حيث ترتبط القيم الجمالية للزخارف الإسلامية بالأداء الفني الدقيق المبني على قواعد وأسس رصينة قائمة على التناسق في نسب الأشكال وانسجام العناصر والحركة الانسيابية والإيقاع المدروس، وكذلك الامتداد الأنيائي وتكرار الوحدات الزخرفية بما

12- بشر فارس، سر الزخرفة الإسلامية، مرجع سابق، ص19.

13- صفاء لطفى عبد الأمير، سيميائية التصميم الزخرفي الإسلامي في البلاط المزجج، أطروحة دكتوراه، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، 2005، ص83.

14- عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1979، ص80.

يشكل عالما ذو سمات وخصوصية بعيدة عن الرتابة والملل، ولا تقف عند حدود الشكل الواقعي بل تتعداه إلى الشكل الذي يعبر عن مضامين روحية عميقة وقيم جمالية خالصة¹⁵.

فقد افتن الفنان المسلم بتطوير وتحوير المستطيلات والمربعات والدوائر والمثلثات والأطباق أنجميه إلى مالا نهاية من إبداع وخيال، وتسلت الزخارف والشرائط أنجميه إلى كتاب الله عز وجل، فمألت الفراغات وأصبح كتاب الله سبحانه وتعالى مصدر وحي وإلهام لكل فنان وهبه الخالق مسحة من الإبداع وأثمنها وأبهاها وأروعها. وتتوعدت الزخارف واختلفت باختلاف الدول المتعاقبة، واتخذت دمشق والشام ومصر وحدة متشابهة، وفي شمال إفريقيا وحدة أخرى وفي الأندلس وحدة ثالثة وفي الأستانة استانبول وحدة رابعة وفي بلاد فارس وحدة خامسة، وقد ولع الفنان المسلم ولعا شديدا بتغطية السطوح ولم يترك فراغا خاليا فهو الذي يكره الفراغ لاعتقاده بأن الفراغ هو الشيطان⁽¹⁶⁾.

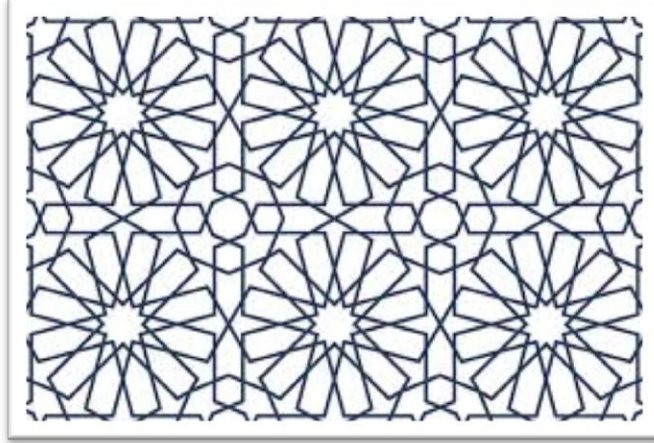
وتكمن أهم مبادئ القيم الجمالية للأشكال الهندسية في¹⁷:

1. **مبدء التماثل:** التماثل أو التناظر من سمات الزخرفة الهندسية في الفنون الإسلامية، وينشأ التماثل في الأشكال خلال التكرار والانعكاس لوحدة زخرفية أو أكثر، وبالرغم إن التصميم قد يكون مفصلا أو معقدا، إلا إن التكرارات المتماثلة الأساسية وانعكاسات هذه الأشكال يخلق شعور بالتناغم حيث تعتمد الزخارف الهندسية بشكل موسع على تماثل الوحدات الزخرفية من وحدة زخرفية واحدة وتناظرها على محاورها الأساسية، أو من وحدات زخرفية متعددة متداخلة لتكون تشكيلا هندسياً قابل للانعكاس والتناظر على محاوره الهندسية ليخلق سطحا زخرفياً مفتوحاً لا حدود له (شكل 1)، قوامه شبكة من الوحدات الزخرفية المتماثلة على احد محاورها.

15- فارس بشر، سر الزخرفة الإسلامية، مرجع سابق، ص9.

16- أحمد المفتي . فن الزخرفة والتوريق . دار دمشق . 1997. الطبعة الأولى ص766 .

17- هيام مهدي سلامة،جماليات الشكل الهندسي في الفن الإسلامي وتطبيقاتها المعاصرة، مجلة العمارة والفن، العدد الثالث،



شكل (1) يوضح طرق التكرار والانعكاس لوحدة زخرفيه هندسية

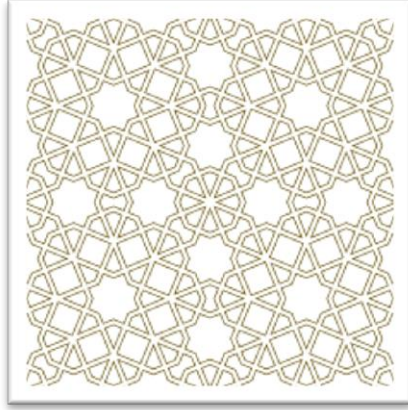
المصدر pinterest.com

2. **مبدء التشعب:** وفيه تنبثق خطوط الوحدة من نقطة إلى الخارج، وتتفرع فيها الخطوط عن طريق تشعب من نقطة وتشعب من خط .

3. **مبدء التكرار:** يشكل التكرار الزخرفي لوحة فنية يشكل فيها أساساً حيويًا بامتلاك الجمال والخيال والنظام، فهي تكسب القيمة الجمالية النظامية من طبيعة التكوين وليس من طبيعة الأشكال المستخدمة.

كما يتميز النسق الزخرفي بالامتداد والتوسع اللانهائي، فلا حدود للوحة حتى وان انتهت بشكل مادي، فهي دالة على الخلود لإرادة الريانية وليس للقيمة الإنسانية الفانية، يتم إدراكها والإحساس بها والقدرة على تثبيتها بالعين قبل الحركة اللانهائية.

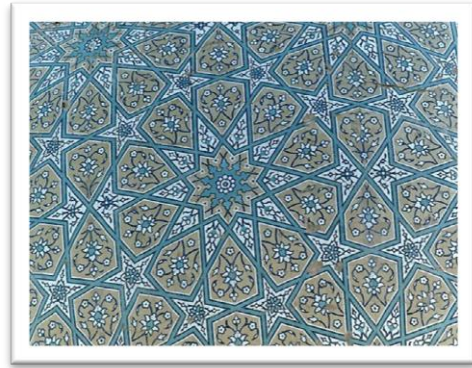
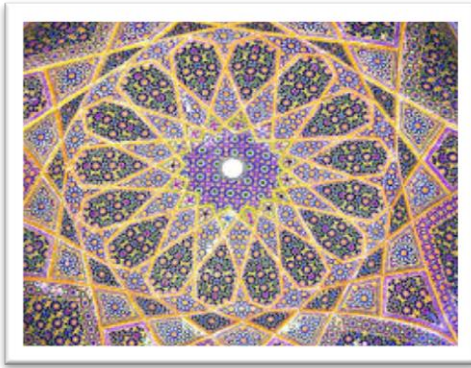
ومعظم نماذج الزخارف تستمد من شبكة من المضاعفات مثل المثلثات المتساوية الأضلاع والمربعات والمسدسات التي تتكرر على السطح (شكل 2) ومعظم الأشكال الزخرفية مبنية على أساس يمكن تكرارها بشكل نهائي في الفراغ، ويمثل النسق الزخرفي بعدة أساليب تجمع بين العديد من العناصر الزخرفية في تكوينها تضم أكثر من وحدتين بشرط التشابه بينها.



شكل (2) تكوين زخرفي بتكرار مضاعف. المصدر pinterest.com

4. **مبدءا التنوع** : صفة من صفات النظام الكوني، المملوء بملايين الأنواع والأصناف من الحيوانات والزواحف والطيور، والتنوع العضوي في الملمس واللون والحجم والأعضاء مع اشتراكها في التكوين العضوي الخلوي¹⁸، وهذا التنوع إنما هو دال على قدرة الخالق المبدع في خلقه وطلاقة قدرته اللانهائية.

وفي إطار الزخارف الهندسية نجدتها تتسم بصفة التنوع وساعد على ذلك التفوق الرياضي الهندسي للمسلمين الأوائل (شكل 3)، ما اوجد أشكالا هندسية مبتكرة خالصة للفن الإسلامي كالطبق النجمي ومكوناته ومشتقاته.



شكل (3) زخرفة هندسية لأطباق نجمية ثمانية وعشرية واثنا عشر. المصدر pinterest.com

5. **الابتكار**: تميزت الزخارف الهندسية بالابتكار، على الرغم من استخدام الأشكال الهندسية في الفنون السابقة على الإسلام، إلا أن تطورها وخلق أشكالاً جديدة هو ما أعطى الزخرفة الهندسية صفة الأصالة للفنون الإسلامية، فقد انتقلت زخرفة النجمة

18- هيام مهدي سلامة، جماليات الشكل الهندسي في الفن الإسلامي وتطبيقاتها المعاصرة، مرجع سابق.

السداسية إلى الحضارة الإسلامية واستخدمت في زخرفة العديد من الأطباق والكراسي والأبواب والأسقف الخشبية، وأصبحت أكثر دقة واتقاناً، وما لبث الفنان المسلم أن يطور الشكل ليخلق نجوماً ثمانية وعشرية واثنا عشر مكون منها شبكة واسعة من الزخارف المبتكرة .

كما تكمن أهم عناصر الزخرفة في الفنون الإسلامية في التالي:

أ- العناصر الهندسية :

كان هم الفنان المسلم وشغله الشاغل أن يبحث عن تكوين جديد مبتكر يتولد من اشتباكات الخطوط والزوايا والأشكال الهندسية لتحقيق مزيد من الجمال الذي يضيفه على تحفه الفنية التي ينتجها. ومن أمثلة الأشكال الهندسية والتي استعملها الدوائر المتماسة والمتجاورة، والخطوط المتشابهة، بالإضافة إلى أشكال المثلث والمربع والمسدس والمثلثن.

ولا شك إن الفنان المسلم اهتم بالزخارف الهندسية لسببين أولهما " لنزوع فطري نحو التجريد، والثاني التوجه الذي تفرضه الخاصية والأداة أثناء عملية الإنتاج، ويمكن القول إن نشأة الزخارف الهندسية لم تكن مسالة إرادية بقدر ما هي لإرادية"¹⁹.

وعلى الرغم مما يبدو في الزخارف والهندسة الإسلامية من تعقيد فإنها في حقيقتها بسيطة وتعتمد على أصول وقواعد سهلة، فقد عنى الأستاذ الفرنسي (بروجوان) بدراسة الزخارف وتحليلها، وأكد أنها تقوم على علم وافر بالهندسة العلمية، كما أعجب الفنانون الغربيون بهذه الرسوم وقلدوها ومن بينهم الفنان (ليوناردو دافنشي) الذي كان يقضي ساعات طويلة يرسم الزخارف الهندسية الإسلامية²⁰.

ومن أبرز أنواع الوحدات الزخرفية الهندسية التي امتازت بها الفنون العربية الإسلامية الأشكال أنجمية متعددة الأضلاع والتي تشكل ما يسمى (الأطباق أنجمية) وقد انتشر هذا النوع من الزخارف في الشام ومصر في العصر المملوكي وفي العراق في العصر السلجوقي ثم امتد إلى بلاد المغرب .

ب- العناصر النباتية:

19- هريت ريد، الفن والمجتمع، ترجمة فتح الباب عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ص 34.

20- زكي محمد حسن، الأعمال الكاملة في الفنون الإسلامية، مرجع سابق، ص 33.

تأثر العنصر النباتي في الزخارف الإسلامية كثيرا بانصراف المسلمين من استحياء الطبيعة وتقليدها، فكانوا يستخدمون الجذع والورقة لتكوين زخارف تمتاز بما فيها من تكرار وتقابل وتناظر، وتبدو عليها مسحة هندسية جامدة تدل على مبدأ التجريد والرمز في الفنون الإسلامية، وكان أكثر الزخارف النباتية ذيوعا في الفنون الإسلامية الأريسيك.

فقد أتقن المسلمون الزخارف النباتية واستعملوا الجذوع النباتية والأزهار والأوراق المختلفة من الطبيعة وكل حسب العصر والإقليم، وفي إيران كانت الزخارف النباتية مثالا صادقا للطبيعة فقد كانت الزخرفة النباتية عنصرا هاما من عناصر الزخرفة الإسلامية، ولكنها مجردة وترسم بطريقة اصطلاحية مهذبة⁽²¹⁾.

ج_ عناصر أشكال حيوانية

حاول الفنان المسلم في بداية ازدهار الزخرفة الإسلامية أن يتجه نحو التجريد لئلا يضاهي خلق الخالق، ولهذا السبب جعل الفنانين ينصرفون إتقان أنواع أخرى من الزخارف بعيدا عن تجسيد الطبيعة الحية أو تصويرها وقد افلحوا في هذا الميدان حتى أصبحت العناصر الزخرفية التي ابتدعوها طابعا مميزا لفنونهم²².

فقد اقبل المسلمون على استعمال الأشكال الحيوانية في زخارفهم ليكيفها ويحددها بحيث تحقق أغراضه الجمالية أبحاثه، كزخارف على الخشب والنحاس، إلى جانب صناعة النسيج والزجاج والخزف، حيث رسمت هذه العناصر داخل أشكال هندسية وزعت على أساس التقابل والتدابير.

د_ الزخارف الخطية

اتخذ الفنان الكتابة عنصرا أساسيا من عناصر الزخرفة، فعمل على رشاقة الحروف وتناسق أجزائها وتزيين سيقانها ورؤوسها وأقواسها بالفروع النباتية، وقد كثر استعمالها في أفاريز المساجد والأضرحة والجدران والأسقف. فاستخدم الخط الكوفي بداية، ثم في عصر السلاجقة والمماليك استخدم خط الثلث وسيلة من وسائل الزخرفة⁽²³⁾.

21 - أحمد المفتي، الزخرفة التاريخية، مرجع سابق، ص 242 ، 143 .

22 - زكي محمد حسن، الأعمال الكاملة في الفنون الإسلامية ، مرجع سابق، ص 29 .

23 - أحمد المفتي، الزخرفة التاريخية، مرجع سابق، ص 243 .

كما استخدام عناصر زخرفيه هندسية مظفرة يعود تاريخها إلى أيام (بني أمية) حيث وجدت على أبواب المسجد الأموي الداخلية، كما استعملت في أبواب قبر معاوية. وبشكل عام فإن كل أبنية دمشق الأثرية التي تعود إلى هذا التاريخ تمتاز بهذا النوع.

التنوع الزخرفي بين الجمالية والحرفية :

توظف الفن في حياتنا اليومية كوسائل وأدوات وآلات لبت الحاجات اليومية كانت تحمل رسماً وتخطيطاً وحفر تشكل بدورها العناصر الفنية التي قام عليها الفن الإسلامي ككل²⁴. فالفن الإسلامي يجمع بين الجمال والمنفعة وغايته باطنه رمزية تتجلى في قطبين، قطب يشهد على الغيب عن طريق الدين والروحانية، وآخر يشهد على فلسفة جمالية شاملة. إذن فهي وظيفة جمعت بين ثنائية الفنان والصانع، الغيب والوجود، الشهادة والمهارة، بين الجمالية والحرفية، والروحية والحسية²⁵. فهي وظيفة فنية جمالية ومن جانب آخر نفعية استهلاكية.

ومن بعض مواضع إبداعات الزخرفة نستعرضها باختصار:

الزخارف الخزفية: شهد الخزف في العصر الإسلامي تقدماً عظيماً، وتمييزاً عن سابقه بتنوع أشكاله وانتظامها وتعدد أساليبه وألوانه، وقد ابتكر المسلمون الأواني الخزفية ذات البريق المعدني؛ لتوفقه مع المفهوم الإسلامي لتكون بديلاً عن الأواني الذهبية والفضية التي حرم الإسلام استعمالها²⁶. وتتم زخارف الخزف بالرسم أو بالحز وغالباً ما تكون ملونة بالبريق المعدني. فبلاطات القاشاني تعلو الشبابيك والأبواب ذات زخارف نباتية متناظرة تبدو فيها أزهار القرنفل بين الأوراق والأغصان ومن تشابك سعف النخيل.

وبصورة عامة تميزت السجاجيد من الألواح الخزفية بعضها ذات أشكال هندسية نجمية مكررة، وبعضها ذات تموج مستمرة من الأغصان النباتية المزهرة متضمنة كل واحدة عنقود عنب وزهرة التوليب. ولقد لون العنب بلون بنفسجي بتأثير أكسيد الرصاص، ومحاط بعدد من الأطر المتعاقبة ذات التشكيلات النباتية المتنوعة.

24- سمير الصايغ، الفن الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، 1988، ص 247.

25- المرجع السابق، ص 253.

26- ندير الزيات، فن الخزف، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2001، ص 93.

الزخرفة على المعدن

لم تكن تخلو أواني النحاس من الزخارف، فسواء كانت طاسات أو مزهريات أو صحون فإنها حافلة بالنقوش التي ترسم مواضيع مختلفة، وكثيرا ما تحلى هذه النقوش بتزييلهما المعدن. تمر الزخرفة بمرحلة (الدق)، وهي تحزز السطح المعدني بمنقاش بسيط عن طريق الدق. ثم بحفره وتزييل معادن أخرى فيه، وقد يكون المعدن مفرغا بزخارف متنوعة وغالبا ما يكون النقش غائرا ومن الصعب أن يكون بارزا .

زخارف الارابيسك:

تطلق زخارف الارابيسك على كل زخرفة قوامها الجمع بين رسم نباتية اصطلاحية ومهذبة ومرتبطة ومكررة في أسلوب هندسي أساسة التوافق والتناظر، فقد تنوعت استخدامات الارابيسك بشكل كبير في البيوت الإسلامية القديمة، كما وتألقت فن الارابيسك في المساجد والقصور أيضا، ولهذا فان الارابيسك صناعة وفن في وقت واحد وهو الرسم والتعشيق والنقش والتطعيم بالصدف والعاج ويفضل مزجه مع ديكور بألوان هادئة تحملنا إلى زمن جميل بكل بساطته وارتباط الأجواء التي تمنحها لنا²⁷.

ويمكن القول إن الزخرفة والنقش التزييني أضحي عنصر رئيسياً له دلالات ذهنية في الفن العربي الإسلامي، استمد من العنصر النباتي الجذع والورقة لصنع الزخارف التي عرفت باسم الرقش العربي (الارابيسك). فقد اعتمد هذا المصطلح على الحدس أي الإدراك الحسي، وبالتعالى والإطلاق، وهو صيغة من صيغ التعامل مع الواقع، صيغة غير مادية تعتمد على حرية الفنان في قراءة الواقع قراءة حدسية ونقله بصيغة جمالية مجردة، للدلالة على الأشكال المجردة أو المحورة عن الواقع، الذى ابتكرها الصانع في رسمه أو نقشه أو حفره، مستوحاة من الجمالية العربية، ضمن نطاق النزعة التجريدية للتعبير عن المطلق.

ومن دلالات زخارف الارابيسك :

27- عفيف بهنسي، جماليات الفن العربي، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 14، الكويت .

تبدو دلالات التجريد في فن الاربيسك واضحة في أسلوب التوريق ويقوم على تأويل النباتات من أغصان وأوراق وزهور مختلفة الأنواع وأويلا يصل إلى حدود الصيغ الرمزية، وقد تمادى الفنان للوصول إليها بالخروج عن الواقع للاكتفاء بالصور الجمالية التي أتقن نسيجها برشاقة وتناسق، كما ويعتمد على أساس التشكيلي للأشياء وهو أساس رياضي لاعتماده على الأشكال الهندسية، المثلث والمربع والخمس لا تخلو من معانٍ قدسية أو صوفية أو وجودية.

بينما الدلالات الرمزية للزخارف الهندسية تكمن في:

استخدام الفن الإسلامي الأشكال المركبة من تصاميم هندسية، وتخلق هذه التصاميم المعقدة الانطباع بتكرار لا نهاية له يعتقد البعض انه يرمز إلى الحالة المطلقة لله تعالى " لانهاية بدون زمان أو مكان"²⁸. فالزخارف الهندسية كانت دالة على امتزاج التقدم الرياضي الهندسي للمسلمين مع القيم الثقافية ومعتقداتهم الدينية.

فقد اعتمدت الزخرفة الهندسية على الأشكال الأساسية المجردة لتكوين نجمة سداسية أو ثمانية أو عشرية، فمن تعارض مثلثين تشكلت النجمة السداسية تعبيراً عن الكون المؤلف من مربع يمثل الجهات الأربع، ومن مربع يمثل العناصر الأربعة الهواء والماء والتراب والنار، وفي كل من النجمتين تمتد الأضلاع متشابكة لكي ترسم أشكالاً هندسية متنوعة بين مجموعة من النجوم المتلاحمة، في عالم متوازن متناغم لكي يصبح مساحات لونية من الأحجار الملونة أو الأصباغ، أو من التنزيل الخشبي والصدفي والمعدني²⁹، فانه يتم الحصول على لوحة فنية متحركة جذابة، محمولة على أطراف ألوان تتحاور لتؤلف تشكيلاً جديداً.

وفي تفسير للتكوينات النجمة الهندسية الإشعاعية (النجوم) تتطلق هذه التكوينات من الجوهر الواحد وتعود إلى الجوهر الواحد، في تداخل تكوينها التشكيلي مع الزخارف

28- محمد عبد الله العليان، تأملات علمية في الفن الإسلامي، مجلة الفلق الإلكترونية، 2014 .

29- المرجع السابق.

29- مازن عصفور، سيمولوجيا الفن الإسلامي، مقالة منشور .

الأخرى، فأصبحت في لحة واحدة ذات دلالة رمزية أحيانا تتسم بالوحدة بين مكونات عناصر تكوينها.

وتتمثل مكونات الزخرفة ودلالاتها الرمزية في :

1. التناظر وتساوي الارتفاعات الهندسية: يمثل تساوي الارتفاعات الهندسية علامة بصرية يتجلى حضورها في معظم التشكيلات الإسلامية المجردة؛ سواء كهندسية كتابية، نباتية " إذ تكشف دوال تلك العلامة البصرية ما يختفي ورائها من دلالات اجتماعية روحية بروافع جمالية"³⁰.

فقد ارتبطت الأشكال الهندسية لدى الفنان المسلم بمعان رمزية، فالدائرة تمثل الشمس والقمر ودوران الكرة الأرضية وتعاقب الليل والنهار وحركة الأجرام السماوية، فهي محيط يشكل نقطة لا نهائية ترتبط بنقطة ثابتة في المركز تشكل الحقيقة، وهي شكل تعبدي يرسمه المسلم في الطواف حول الكعبة، ويعد الشكل المربع ذا اهتمام وتميز لدى الفنان المسلم فهو شكل للتوازن والتكامل والثبات والاستقرار، كما يشكل رمزا للدين الإسلامي بكماله وتوازنه واعتداله، فالمربع أساس المضلعات المتعددة في الزخرفة الإسلامية، ومن تداخل مربعين ينشأ الشكل المثلث، وكما اشرنا فالمربع الأول تكون رمزيته للماء والنار والهواء، والمربع الثاني يرمز للجهات الأربعة، وتداخلهما يعنى إن قوى الله فوق كل قوى طبيعية، وهي بذلك تمثل نظام تكاملي مثالي بين المادة والروح.³¹

2. تشابك عناصر التكوين: إن تشابك العناصر الهندسية والنباتية والكتابية في السطح التجريدي يمثل إحدى العلامات البارزة في تشكيلات السطح التجريدي الإسلامي وبالإضافة إلى ما يحفل به هذا السطح من تنوع وتكرار في توزيع العناصر البصرية فيه، فقد حرص الفنان المسلم على إبقاء تلك المكونات متماسكة مترابطة في نظر المشاهد. ولاشك في إن علامات التشابك البصرية للزخارف بأنواعها

30- مازن عصفور، سيمولوجيا الفن الإسلامي، مرجع سابق.

31- هيام مهدي سلامه، جماليات الشكل الهندسي في الفن الإسلامي وتطبيقاتها المعاصرة، مرجع سابق.

النباتية والهندسية هذه تخفي وراءها دلالات تتصل بفكرة ترابط الأمة وتماسكها، بما فيه خير للمجتمع ورفعته وصلاحه.

3. محاكاة الواقع الطبيعي: تأثر الفنان المسلم بكل مقومات بيئته في كل أعماله الفنية التي أبدعها برؤيته ليصل لتحوير وتجريد عناصر الطبيعة، فاستطاع أن يحلل عناصرها ثم يعيد تركيبها في صياغات جديدة، فزيدا من التأمل يكشف لنا إن الطبيعة في آثار هذا الفن إنما هي نظام في العلاقات بهندسة علاقات بين الخطوط والمساحات، وتوازن بين الألوان والفراغات. وهذه الطبيعة ماهي إلا فلسفة في التجرد والمنطق الرياضي، وتقنية في الرسم والتلوين والتنظيم والحساب³².

الدلالات الرمزية في الزخرفة الهندسية :

المدلول اللوني:

اللون في الفن الإسلامي له دلالة وسمه ميزته عن سائر الفنون الأخرى، لذلك تعددت مدلولات الألوان المستخدمة في الزخرفة، فقد استطاع الفنان في تنفيذه للزخارف الهندسية في مختلف الصناعات تقديم مدلولات دينية تعكس الشعور الديني عنده من خلال تقديم مجموعة لونية، ربما يكون الفنان استقى بعضها مما ورد من أشارت وذكر لهذه الألوان في القرآن الكريم.

وتتجلى نجاحات الفنان المسلم في تقديمه اللون ضمن وحدات جمالية جمع فيها بين أسلوب الواقعية والطابع الأزخرفي بطريقة عكست قدرته ومهارته الإبداعية، ومن بعض رمزية تلك الألوان³³ :

فاللون الأحمر: قيل انه يرمز للضياء والنور والنشاط .

واللون الأبيض : يرمز إلى الأمل والمحبة.

واللون الفضي: رمز للنقاء والهدوء

ولم ينسى الفنان المسلم في تنفيذ الزخارف والرسومات غايات اللون البصرية والنفسية والاجتماعية، فقد استطاع أن يحسن اختيار الألوان الحارة كالأحمر مثلا

32- عبلة حنفي، مفهوم سيكولوجية الفن، المؤتمر الثاني للجمعية المصرية للدراسات النفسية، 1986، ص 19.

33- فرج عبو، علم عناصر الفن، أكاديمية الفنون الجميلة، ج2، بغداد، 1982، ص 137.

ووضعها في علاقات لونية تحقق الانسجام كونها تعطي العين أحساسا بالقرب، وتعطي الوحدات الزخرفية أهمية وتجسيما وهميا، كما أتقن اختيار الألوان الباردة كالأزرق واستعماله في الرسم لتعطي أحساسا بالعمق.

المدلول الخطي:

يتمتع الخط في الزخارف الإسلامية بأهمية خاصة إذ به يتم تقسيم الفراغ و به تحدد الأشكال وينشئ الحركات، " فالخط وسيلة للتعبير عن الخيال الإنساني، إضافة إلى وظيفة الإنشائية في تصوير الأشكال لان الخطوط رموز لها مدلولاتها الفنية والعلمية"³⁴، فالخطوط المستقيمة والمنكسرة تتضح بقوة في الزخارف الهندسية التي تعطي الإحساس بالثبات والاتزان، كما يعطي تلاقح (الخطوط المستقيمة والراسية) الإحساس بالتوازن والعمق والانسحاب والقوة.

فقد برع الفنان في إيجاد الخطوط الرفيعة والسميكة من خلال توزيع الزخارف الهندسية والنباتية محقق علاقات خطية في الوحدات البنائية الهندسية من خلال الشكل والمساحة، وقدرة الفنان على تصميم وحدات هندسية ببراعة وإبداع وتوزيع الزخارف النباتية والهندسية بخطوط دائرية وأخرى منحنية تمتد إلى أشرطة طولية، تعطي المشاهد أحساس بحركة الأشكال واستمرارها.

أن الخط في الزخارف الهندسية يعكس مدلولاً مرئياً جمالياً وشعور بالقيمة التشكيلية في الزخارف ومدى انسجام وحداتها وعناصرها لتعكس التوافق والشعور بالإحساس بالاتزان، ومقدرة الفنان على التعبير بالخط وسيطرته على هذا العنصر، كما استطاع الفنان أن يعكس صيغه قوية للزخارف المرسومة تتميز بالإيحاء في تعبيراتها.

المدلول الشكلي للزخارف الهندسية:

الجدير بالذكر إن أساليب محاكاة الواقع المادي ليست ملائمة للتعبير عن المعاني الروحية في المشرق العربي. وقد اجتمعت في الرسومات الإسلامية العلاقات الرمزية

34- إسلام محمد السيد وهبه آخرون، زخارف حشوات العصر المملوكي فنيا وجماليا كمصدر إثراء للوحة الزخرفية، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد 4، يونيو

مع السمات الجمالية. وقد استطاع الفنان المسلم إن ينفذ برسومه إلى عالم الوجدان مستخدماً في ذلك عناصر التكوين والتشكيل³⁵.

فالشكل هو الفن المتمثل في تصميم الشكل الخارجي، أو الرسم أو الصورة الممثلة بالسطح الخارجي للمنتج، فقد جاءت أشكال الرسوم والزخارف في الفنون الإسلامية على هيئة أشكال هندسية مختلفة القوام، فمنها الأطباق النجمية على اختلاف أشكالها وما تألفه من أشكال هندسية من خلال توافقها وتداخلها ضمن تكوينات منسقة بانتظام ودقة ذات واقع خاص في النفس، كونها " تتميز بتقنية فنية متقنة وأبعاد فلسفية حضارية تتقاسم فيما بينها مفهوم التطور في الإبداع والابتكار، مع انسجامها بالقدرة الفنية على الجمع بين الأصالة وتعاليم الإسلام، من خلال البعد عن الفراغ وعن التجسيم والبعد عن الطبيعة وتجريد المشاهد الحية في الطبيعة حتى لا يبقى منها إلا خطوطها الهندسية"³⁶.

وبالتالي جاءت الأشكال الزخرفية متميزة بالتوازن والانسجام فيها فن متوازن يخاطب الروح كما يخاطب العين في أشكال وتصاميم تجمع بين الضخامة والاتساق والوحدة الزخرفية وفي كثير من الأحيان تضاف إليها الرصانة والجلال. فقد ابتكرت وحدات زخرفية تعتمد في أساسها على الدائرة وأقطارها التي تقطعها خطوط مكونة أشكال هندسية متنوعة، ولا شك إن جماليات العمارة الإسلامية اجتمعت في الرسومات الإسلامية ذات العلاقات الرمزية مع السمات الجمالية متجسدة في عناصر التكوين والتشكيل ومثال ذلك تصاميم أشكال الأطباق النجمية شكل (4):

35- محمد حسن عطية، القيم الجمالية في الفنون التشكيلية، مرجع سابق، ص3.

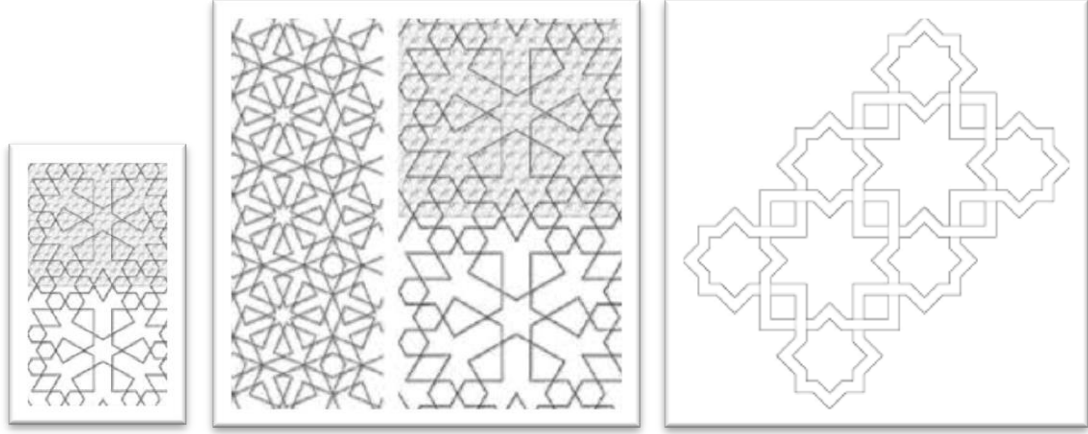
36- إسلام محمد السيد وهبه، زخارف حشوات العصر المملوكي فنياً وجمالياً كمصدر إثراء للوحة الزخرفية، مرجع سابق، ص 256 .



شكل (4) أشكال النجوم الإسلامية تجمع بين الوحدة والثراء والجمع بين مبدءا الوحدة والتنوع

وتقوم زخارف هذا التصميم على دوائر متقاطعة ومتداخلة تحصر بينها دوائر صغيرة او اشكال تشبه النجوم السداسية والثمانية اضافة الي المضلعات المتنوعة، والزخارف الطبقيّة والنجمية متنوعة قوامها دوائر متساوية مع بعضها تتقاطع وتتداخل معها خطوط اخرى مؤلفة ما يشبه النجوم السداسية او النجوم الثمانية

تتطلق هذه التكوينات الإشعاعية من الجوهر الواحد وتعود إلى الجوهر الواحد، في تداخل تكوينها التشكيلي مع الزخارف الأخرى، فأصبحت في لحمة واحدة ذات دلالة رمزية أحيانا تتسم بالوحدة بين مكونات عناصر تكوينها. نجد القيمة الحسية في التكوين من حيث التماسك في تكرار النموذج في أوضاع مختلفة شكل (5)، كما نجد تميز التصميم بصيغة شكلية سائدة فيجمع التصميم بين الوحدة والثراء والجمع بين مبدءا الوحدة والتنوع في نفس الوقت.



شكل (5) دقة وبراعة النظم الرياضية لأنواع من النجوم السداسية والثمانية والمضلعات

توزع الأشكال في انسجام وعلى أبعاد متناسقة، ومزج الجانب الروحي مع المادي والديني مع الدنيوي، إلى جانب تكرار الوحدة، قام الفنان المسلم بتحويل القاعدة الرياضية إلى قيمة جمالية، حيث نعثر في الطباق أنجمي على تقاطع بعض الخطوط المتكررة فيما بينها، تشعر بالتكامل المتضامن للمجموعة، وبفضل هذا التكرار تحقق الابتكار والتحصيل على مركب جديد يتخطى الانتشار الأفقي للوحدة.

بينما النجمة الثمانية المؤلفة من مربعين، تمثل أيضا الكون، مؤلفا من مربع يرمز إلى الجهات الأربعة (الشرق والغرب، الشمال والجنوب) ومربع يرمز إلى العناصر الأربعة (الماء والهواء والنار والتراب). استطاع الفنان أن يصل إلى مبدء التوحد. محققه في البناء الفني نمطه الجمالي في مدلول مستند على منهج علمي ورياضي في بناء الأشكال الهندسية من مثلثات ومربعات ودوائر ومضلعات تشير إلى النظام الداخلي للوجود غير المرئي والكامن خلف الظواهر والموجودات.

ونستخلص مما سبق قدرة الزخرفة الهندسية على التنوع بين مختلف أساليبها وعناصرها الزخرفية من خلال دلالات ومعاني الرموز الفنية في الزخرفة الإسلامية. فقد قام الفن الإسلامي بتحويل الطبيعة إلى مجموعة من النظم الرياضية والهندسية ووصول زخارفه إلى الوحدة كمدلول مستلهم ومن خلال منطلق الوحدة والتوحيد والحركة التي شكلت مبادئ أساسية تميز الفن الإسلامي، محققه في البناء الفني نمطه الجمالي، كما وان محاولة دمج البني الهندسية مع الزخرفة البنائية المجردة المقتبسة من الطبيعة تؤكد

رغبة الفنان الأنظمة العقلية الصارمة للهندسة مع التشكيل الحر في وحدة فنية جمالية تتشد التصورات المجردة لعناصر الوجود وتستقرى تناغمها الأصلي الذي يحقق اندماجها وتكاملها، فضلا عن عالم اللون الجذاب الذي يكملها ويزيد من طاقتها التعبيرية.

النتائج

- الدلالات الفلسفية والروحية والرمزية أكسبت الزخارف الهندسية طابعا متميزا أثرى الفنون الإسلامية وشكل شخصيتها الأصيلة، بما يوحي ببراء الطبيعة وتنوع الأشكال والعناصر لخلق قيم جمالية تشير إلى الواقع ولا تتطابق معه.

- الزخارف النباتية مصدر للفنان لتعبيرات تتراوح بين التجريد المطلق والتكوين المتحرر، لا تقل تنوعا وثراء عن عالم الطبيعة الحي، مستمدة دلالتها الجمالية من مفاهيم الوحدة والتنوع والعلاقات اللونية والحركة الدائمة والاستمرارية والامتداد ألا متناهي للزخارف.

- تستند الزخرفة الإسلامية الهندسية مدلولاتها إلى منهج علمي ورياضي دقيق في بناء الأشكال الهندسية من مثلثات ومربعات ودوائر ومضلعات وأطباق نجمية تشير إلى النظام الداخلي للوجود غير المرئي والكامن خلف الظواهر والموجودات.

- استطاع الفنان المسلم إيجاد صياغة خاصة تناول فيها الطبيعة وفككها إلى عناصر أولية ليعيد تركيبها بروئيته الحسية بتحويل وتجريد عناصرها وتحويلها إلى صيغ جديدة.

- جمعت الإبداعات الوظيفية في الفن الإسلامي بين ثنائية الفنان والصانع، الغيب والوجود، الشهادة والمهارة، بين الجمالية والحرفية، والروحية والحسية. فهي وظيفة فنية جمالية ومن جانب آخر نفعية استهلاكية.

- تمكنت الزخرفة الإسلامية من توظيف العناصر النباتية والهندسية والكتابية في بناء تكوينات فنية ذات أبعاد جمالية تشير إلى عالم الحس ومفرداته بدون نسخ، من خلال التأمل والحدس والفهم العميق للعناصر والعلاقات الشكلية المجردة.

المراجع:

1. بشر فارس، سر الزخرفة الإسلامية، دار ناشر، القاهرة، 1952.
2. أحمد المفتي، الزخرفة التاريخية، دار دمشق، ط1، 2001.
3. عفيف بهنسي، الفن الإسلامي، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1986.
4. عبد الله عطية، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة أفق للنشر والتوزيع الكويت، 2018.
5. زكي محمد حسن، الأعمال الكاملة في الفنون الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.
6. أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارس، دار المعارف، لبنان، ط2، ب ت.
7. صفاء لطفي عبد الأمير، سيميائية التصميم الزخرفي الإسلامي في البلاط المزجج، أطروحة دكتوراه، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، 2005.
8. عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1979.
9. أحمد المفتي، فن الزخرفة والتوريق، دار دمشق، 1997، الطبعة الأولى.
10. هيام مهدي سلامه، جماليات الشكل الهندسي في الفن الإسلامي وتطبيقاتها المعاصرة مجلة العمارة والفن، العدد الثالث.
11. هربت ريد، الفن والمجتمع، ترجمة فتح الباب عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1985.
12. سمير الصايغ، الفن الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، 1988.
13. ندير الزيات، فن الخزف، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2001.
14. محمد عبد الله العليان، تأملات علمية في الفن الإسلامي، مجلة الفلق الإلكترونية 2014.
15. مازن عصفور، سيمولوجيا الفن الإسلامي، مقالة منشور.
16. عبلة حنفي، مفهوم سيكولوجية الفن، المؤتمر الثاني للجمعية المصرية للدراسات النفسية 1986.
17. فرج عبو، علم عناصر الفن، أكاديمية الفنون الجميلة، ج2، بغداد، 1982.
18. إسلام محمد السيد وهبه آخرون، زخارف حشوات العصر المملوكي فناً وجمالياً كمصدر إثراء للوحة الزخرفية، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد 4، يونيو 2015.